نماذج من كتابات فرح أنطون

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

آراء فرح متشعبّة النواحي، تمتزج فيها السياسة بالاجتماع، وتتعانق الوطنيّة بالإنسانيّة الشاملة، وتندمج الاشتراكيّة ببعض مبادىء الديمقراطيّة. فهو لا يُعْنى إلّا بالإنسانيّة، وهمّه الأوحد الحرّيّة والسعادة. فكيفما تراءت له هذه السعادة بحث عنها وفتّش، ثم نّادى بها متطلّعًا إلى آفاق مُذَهَبَّةِ الأطراف، مُنَوَّرَةِ الحواشي.

فالمعضلة الكونيّة ليس لها حلّ وحيد، إنّما حلولها وتفسيراتها تُماشي سير مطالعاته. فهو يرى في الاشتراكيّة المسيحيّة بعض محاسن الإصلاح، كما يرى في مبادىء نيتشه بعض ملامح القوّة المُستحبَّة. نظريّات مختلطة متباينة الأهداف والنتائج، تختلط في ذهنه الطريّ دون أن تتفاعل في نفسه، وتجري مع جداول إلهامه. فهو ينشد مع روسو جمال الطبيعة وفطريّة الحياة، ويلتقي مع تولستوي بمبادئ التسامح، وينادى مع رينان بإماميّة العقل، ويتبع جول سيمون في مناصرته للمرأة...

سلسلة من التأثّرات وَسَمَتْ عبقريّة فرح، فإذا هو بُحَيْرَةٌ صَغيرة، تنصبّ فيها حكمةُ الغرب وعلْمُهُ، وتنعكس على صفحاتها نورانيّة التصوّف الشرقيّ. فيبحث عن الحقيقة فيراها ماثلة أمامه في كُتب المُصلحِين من شرقيّين وغربيّين، فينشرها عبيرًا على دنيا العرب. ويقوده حبّ الإصلاح والإخلاص الوطنيّ إلى الاهتمام بالبحوث القانونيّة، معتبِرًا فصل السلطات أعظم ابتداع واكتشاف في تدبير الأمم وسياسة الشعوب في العصر الحديث [...] وكلّ أمّة فيها هذا الفصل أمّة راقية لأنّه ينفسح مجال العمل والأمن والعدل والتقدُّم أمام المواطنين، وذلك بسبب الحرّيّة الفرديّة والشرائع المحمّية من الدستور[1]، وتتجلّى الجوانب الوطنيّة التي تعمر صدره في كتاباته وتصرّفاته، فهو قد وقف موقفًا مشرّفًا، تجاه القضيّة المصريّة، مع أنّه لاقى في مصر من الجهاد الفكريّ والسياسيّ والدينيّ ما جعله يبرح إلى أميركا، ويحنق على الشرق والشرقيّين[...].

هنري خوري،

فرح أنطون وأدبه الاجتماعيّ، الجامعة اللبنانيّة، معهد المعلّمين العالي، رسالة أُعِدَّت لنيل شهادة الكفاءة في اللغة العربيَّة وآدابها، إشراف د. جبّور عبد النور، بيروت، ١٩٦٥، ص ١.

###

[1] مجلّة الجامعة، السنة الخامسة، ١٩٠٦-١٩٠٧، ص ٢٦٧.

[...]كان فرح أنطون يعمل على رفع مستوى الجمهور بنقله **بولس وفرجيني**، و**الكوخ الهندي**،و**أتالا**، و**تاريخ المسيح**، وسواها من المؤلَّفات الفرنسيَّة المشهورة بقوامها الأدبيّ وهدفها الإنسانيّ [...].

نديم وليد عبود (جمع تقديم)،

"ينقلون ما هبّ ودبّ" في **روابط الفكر والروح بين الغرب والفَرَنْجَة**، الطبعة الأولى، ١٩٤٥، من **المجموعة الكاملة الياس أبو شبكة– النّثر**، الطبعة الأولى، المجلّد الثاني، جونية، دار روّاد النهضة ؛ دار الأوديسّيه، ١٩٨٨، ص ٣٤٦.

###

في بداية طريقه كان فرح أنطوان متأثّرًا بفلسفة جان جاك روسو، وبالمدرسة الرّومانطيكيّة الفرنسيّة. إلّا أنّه سرعان ما أنخرط تحت لواء الفكر الليبراليّ المتمثّل في كتابات رجل السّياسة الفرنسيّ جول سيمون (١٨١٤–١٨٩٦)، إلى درجة أنّه أعلن، في افتتاحيّة الجامعة، أنّ المجلّة قد اتّخذت على عاتقها ترويج آراء هذا المفكّر. وخلال السّنوات الأربع الأولى من حياة المجلّة، وهي الفترة التي اتَّسَمَت بعطائه الغزير،تمّ له، إلى جانب ترجماته من أعمال جول سيمون وغيره من الفلاسفة الفرنسيّين، وإلى جانب ترجماته من الأدب الفرنسيّ كرواية **أتالا** لشاتوبريان، و**بول وفرجيني** و**الكوخ الهنديّ** لبرناردين دي سانت بيير، وكذلك ترجمة مختصَرة لكتاب إرنست رينان **حياة المسيح**، وضع ثلاث روايات، ودراسة مطوّلة في فلسفة ابن رشد أثارت جدلًا بينه وبين محمّد عبده، ووضعت آراءه اللّبراليّة في موضع المجابهة العنيفة مع الفكر الإسلاميّ.

ورغم النّجاح الذي حالف الجامعة في الأوساط المثقّفة في مصر، إلّا أنّ أنطون اضطرّ إلى إيقاف صدورها لأسباب لم يُعلِن عنها صراحة، ثمّ هاجر إلى أمريكا سنة ١٩٠٧ [...].

وخلال إقامته في أمريكا تعرّف على فلسفة نيتشه، وأصبح من أكثر الدعاة لها. وقد عبّر عن ذلك بسلسلة مقالات، كما أنّه ترجم فصولًا من كتاب نيتشه **هكذا تكلّم زارتوسترا**، وبدأ ينشر فصولًا من رواية جديدة لم يتمّها، هي **العالم الجديد أو مريم قبل التّوبة**، وفيها يَعقدُ مجابهة بين شيشرون الرّومانيّ، الذي يمثّل الإنسان الأعلى حسب فلسفة نيتشه، ومريم المجدليّة التي تعبّر عن مبادئ المسيحيّة.

إغلاق الجامعة لم يضع حدًّا لنشاط أنطوان الصّحفيّ والأدبيّ، بل دفعه أكثر فأكثر إلى الانخراط في الصّراع السّياسيّ على صحف حزب الوفد. وكانت مقالاته المندِّدة بالاستعمار الغربيّ والسّياسة الإنجليزيّة سببًا في غلق جريدة الأهالي، لسان الحزب. وبالإضافة إلى ذلك وجّه اهتمامه للمسرح، فوضع سنة ١٩١٤ مسرحيّة **السلطان صلاح الدين ومملكة أورشليم**، التي لم تسمح السلطات بعرضها إلّا بعد أن اضطرّ "مُكرَهًا إلى تعديل مخاطبات عديدة فيها أضعف قوّتها في نقط كثيرة كان يرمي فيها إيقاظ الجمهور وتنميته إلى حقوقه الطبيعيّة". وفي تلك الفترة وضع مسرحيّتين أُخريين من تأليفه هما: **مصر الجديدة ومصر القديمة**، و**بنات الخدور**؛ إلا أنّ مضايقة السّلطات له وسعيه لكسب الرّزق، دفعاه إلى كتابة الهزليّات الشّعبيّة، كما أنّه عرّب نصوص أوبرا **كارمن** لبيزيه و**وتاييس** لماسنية.وفي سنواته الأخيرة ألّف مسرحيّة أخرى هي **أبو الهول يتحرّك أو الفراعنة ساهرون**، لم تُعرَض ولم تُنشَر في حياته.

شمعون بلّاص،

"البحث عن المدينة الفاضلة في روايات فرح أنطوان، مدخل" في **روّاد ومبدعون، دراسات في الأدب العربيّ المعاصر**، الطّبعة الأولى، كولونيا- ألمانيا، منشورات الجَمَل، ٢٠٠٣، ص ١٢-١٣.

###

وكان جول سيمون وإرنست رنان أهمّ الشخصيّات التي أثّرت فيه تأثيرًا طالت مدّته. فسيمون ثبّت إيمانه بالتربية، وأرشده في تبنّيه آراء تدعو لإصلاح مُعتدِل، لا سيّما في ما يتعلّق بالنساء.

ورنان ثبّت إيمانه المسيحيّ، بالنسبة إليه شخصيًّا وبالنسبة إلى العالم الإسلاميّ المحيط، فتبنّاه بوجهه المتحرّر. وإذ كان يتكلّم من خلال صوت رنان، فلا علم لنا بأيّ تحرُّك للكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة المصريّة ضدّه.

وبفضل رنان اكشف ابنَ رشد وأدرك أنّ الفلسفة ازدهرت في العالم العربيّ. وجدالهُ مع محمّد عبده تسبّب له بكثيرٍ من الانزعاج والإزعاج على الرغم من أنّ كِلا الرجلين كانا أقربَ أحدُهما إلى الآخر فكريًّا، ممّا كان عبده مع مرشده الأفغانيّ.

وعلى الرغم أيضًا من أنّ المجادلة ساهمت في إحياء الفلسفة في العالم العربيّ، إلاّ أنّ فرح أنطون اعتُبر لاعبًا من الصفّ الثاني لأنّه كان مسيحيًّا.

وفي مرحلة لاحقة ترك أنطون جانبًا مسألة الخلاف بين الإسلام والمسيحيَّة، وتوجَّه إلى قرّائه بقضايا من مِثل السلوك الخُلُقيّ والكبرياء الوطنيّة. ورفضُه الوَزِين لنتيشه وتفضيلُه تولستوي،[...] يشهدان على اهتمامه بالدفاع عن الفضيلة، كما أنَّ أعماله الأدبيَّة طالما تطرَّقت إلى موضوعات ذات هدف تربويّ [...].

واكتسبت مسألة الوطنيَّة أهمّيَّةً في مؤلَّفاته، وقد رأينا اهتمامه بنيتشه مَصدرًا إيديولوجيًا لطاقةٍ جديدة من شأنها أن تُنْهِضَ الأمَّة العربيّة [...].

واللافت أنَّ فرح أنطون ميَّز بين التعصّب الدينيّ والتعصّب الوطنيّ. وفي حين ندَّد بالأوّل، فإنّه أثنى على الثاني الذي دعاه " التعصّب الجنسيّ"، وأشاد به إذ " صح أن يكون سِلكًا لنظام أمّة لأنّه مدعاة إلى جمعها بعضها إلى بعض"[1].

ولمّا كان فرح أنطون يَنْهَل من عدّة مصادر، تبدّل الكثير من أفكاره، سوى أنّ أهمَّ اهتماماته بقيت هي هي: فتركيزه الشديد على تربية الناس ظلَّ من ثوابته ، كما استمرَّ تشديده على حرّيَّة الفكر. ومن هذا المنطلق ظلَّ لجول سيمون وإرنست رنان تأثير ظاهر فيه مدى الحياة. إلى ذلك فقد كان لمصادر جديدة نَهَلَ منها، ولخبرته الأميركيّة، أثرٌ في توجيه فكره نحو النزعة الوطنيّة، بيد أنّه لم يستطع

[1] تُراجَع مقالة أنطون "صوت من بعيد" في مجلّة الجامعة، السنة الخامسة، ١٩٠٦-١٩٠٧، ص ١٨٢-١٩١.

تحديد نوع الوطن الذي كان يريده. فإنَّه كان يودّ أن يخلق وطنًا شرقيًا كبيرًا– مثقَّفًا، اجتماعيًا وعلمانيًا توحدّه اللغة العربيَّة– ولكنَّ الواقع فَرَض دولًا وطنيّة مختلفة ذات ميول دينيَّة.

جوزيب بويج (Puig, Josep)

" فرح أنطون (١٨٧٤–١٩٢٢)، قبولٌ فاعلٌ للفكر الأوروبيّ"، في مجلَّة المشرق، السنة ٨٣، جزء١، كانون الثاني، حزيران ٢٠٠٩، نقله عن الإنكليزيَّة الأب كميل حشيمه اليسوعيّ، ص ٩٨–١٠٠.

###

ينطلق مشروع فرح أنطون النهضويّ من ثنائيّة "الشرق" و"الغرب". فهو على بيّنة من التناقض الجليّ بين نمطَي الحياة: الأوّل منهما غارق في الانحطاط والجهل والتعصّب، بينما الثاني قد قطع أشواطًا بعيدة في مجالات الرقيّ والعلم والتسامُح. وقد تمثّلت لأنطون، منذ بداية تفكيره، صورة قاتمة لأوضاعنا الاجتماعيّة عبّر عنها بكلمات لا مجاملة فيها في أحد أعداد مجلّته "الجامعة" حيث يقدّم للقارىء: "ما هو عليه الشرق من سكون الموت وما هو فيه الغرب من حركة الحياة"[١]. وطالما أنّ "الشرق" لا يريد الأخذ بالعناصر الحيويّة المناسِبة التي كانت في أساس انطلاق "الغرب" في معارج النهضة، فإنّ أيّة محاولة لتغيير العقليّة "الشرقيّة" ستظلّ محكومة بالفشل الذريع.

ورأى أنطون أنّ مسؤوليّته تجاه وطنه ومجتمعه هي أن يعمل من أجل تحقيق انتقال جذريّ سريع من "الحالة الشرقيّة" إلى "الحالة الغربيّة"، أي الخروج من وضعيّة "النوم الطويل" على حدّ تعبيره. وكما فعل كثيرون من المفكّرين والكتّاب النهضويّين الذين سبقوه أو عاصروه، خصوصًا في سوريا ومصر، نظر أنطون إلى أوضاع المرأة في الشرق بوصفها قضيّة أساسيّة في مدماك أيّ مشروع نهضويّ حقيقيّ. ولذلك كانت ترويسة "الجامعة"، في أعدادها الأولى، تحمل العبارة المشهورة التالية للفيلسوف الفرنسيّ جان جاك روسو: "يكون الرجال كما يريد النساء، فإذا أردتم أن يكونوا عظماء وفضلاء فعلِّموا النساء ما هي العظمة والفضيلة"[٢].

أحمد أصفهانيّ،

"فرح أنطون و"النهضة"" في **روز أنطون كاتبة نهضويّة مجهولة**، الطبعة الأولى، لندن، مطابع الرعيدي، ٢٠١٨، ص ٢٧.

###

[١] الجامعة، عدد ١٥ حزيران سنة ١٨٩٩، ص ١١٣.

[٢] الجامعة، عدد ١٥ آذار سنة ١٨٩٩، ص ١.

فرح أنطون! مضى ثمانيةُ أشهر[1] على احتجاب ذلك الطيف واحباس حركته، فكان مغيبه في نفوس المحبّين والعارفين رُزْءًا فادحًا، وألمًا بارحًا، ونزعة شديدة، وشقّة بعيدة. وكان في تصوّر الخيال خطوة واحدة كخطوة الطيف الهائم جفّلته لواعظ الأصوات، فأوى إلى ظلمته الساكنة.

لقد رأيْتُ فرحًا مرارًا ولكنيّ لم أكلّمه إلاّ مرّتين أو ثلاثًا. وكانت مرّة منها في مكتب " الأهالي"، إذ كان يعمل في تحريرها، فتلاقينا في غرفة الأستاذ صاحبها وتعارَفنا على يدَيْهِ، فسمعْتُ من نبرة صوته وَفاق ما رأيت من خشوع نظرته، وأحسست موضع دائه، فقلت له مؤاسيًا — وكان كلامنا على النهضة السياسيّة– إنّك يا فرح أفندي طليعة مبكرة من طلائع هذه النهضة العامّة، وسيعرف لك المستقبل من عملك ما لم يعرفه الحاضر، وستكون حين يفترق الطريقان خيرًا ممّا كانت في هذا الملتقى المضّطرب، فأومأ برأسه إيماءة شاكرة، وحرَّك يده حركة فاترة، وقال: "إنّه يا أخي تيّار جارف. فماذا يحفل المستقبل بالحاضر، وماذا يبالي السائر المغذّ بمَن كان قبله في مفترق الطريق؟؟". فبدا لي أنّ الرجل يَئِس من الحياة يأسه، وأنّه جرّب كلّ سهامه حتّى ساء ظنّه بالسهام والهدف على أنّه كان، إلى يوم وفاته، ممسكًا بالقوس لا يحوِّل بصره عن الهدف الذي خدعه، وذلك ديدنٌ غالبٌ في النفوس الراجية، وهو كهامة الأمل تتردّد حيث تفيض روحه.

وفرح أنطون كسائر الكتّاب الذين يستوحون قلوبهم، ويقطِّرون على القرطاس من دمائهم مفكّر تؤثّر في تفكيره عوامل الحياة، وتنبثّ في نفسه ألوان الجوّ الأدبيّ الذي يحيط به. ولقد فاتني أن أحيط بكلّ ما كتب الأديب الفقيد، ولكنّ الذي قرأته من كتبه ناطق بحياة صاحبه يدل على أنّه من وحي ذهن لا تمرّ به مذاهب الفكر الشائعة في زمانه عبثًا، ولا تتعارض حوله تيّارات الحياة بغير جدوى.[...]

كان فرح أنطون كاتبًا على استعداد للرواية والقصَص، وكانت ملكته القاصّة تظهر أحيانًا في مقالاته الأدبيّة والسياسيّة ، كما تظهر في رواياته وحكاياته، فمالَ به هذا الاستعداد إلى وضع الروايات فأَحْسَنَ، وارتفعَ في روايته " أورشليم الجديدة". ثمّ تقلّبت به صروفٌ، وألَمّت به مِحَنٌ، وتجرّع من مرارة الخيبة مرارًا ، وطُلِب إليه، وهو بين اليأس والرجاء، أن يُترجِم أو يكتب للمسرح، فلبّى وبدأ بداءة حسنة، ولكنّه لم يحقّق بُغيتن، ولم يصنع شيئًا يليق به أو يُضاف إلى محاسنه. وقد حضرت إحدى رواياته التلحينيّة أخيرًا، فما أَطقْتُ الصبر على أكثر من فصل منها، ولم أرَ في موضوعها، ولا في فنّها، ولا في غنائها، ولا في ممثّليها ولا في الجمهور الذي يسمعها، أثرًا لفرح أنطون الذي نعرفه، ولا علامة على ملكته السامية ومكانته الأدبيّة، وهي زَلّة نأسف لها ونعتبِرُ بها، ولكنْ هل هو أوّل من يُلام على اضّطراره إلى هجر ملكته والخروج عن جادّته؟ ألم يكن يربح في الرواية الواحدة من هذه الروايات ما يعدل ربحه من جميع مؤلّفاته ومُترجَماته الصالحة؟؟ فَمن المسؤول عن ذلك: أهوَ أم الجمهور الحمق المأفون؟؟ وماذا كان يصنع فرح أنطون إنْ لم يؤلِّف تلك

[1] كانت وفاة فرح أنطون في بدايات تمّوز ١٩٢٢.

الروايات؟؟.. ألا فلنعلم أنّنا إذا كنّا لا نختار للأديب النابغ المريض، المنقطع الموارد، إلّا أن يموت بيننا [...] جوعًا، فقد يحقّ لذلك الأديب أن يختار لنفسه خاتمة أَسْلَمَ وأَكْرَمَ من تلك.

عبّاس محمود العقّاد،

" فرح أنطون" في **مطالعات في الكتب والحياة**، صيدا- بيروت، منشورات المكتبة العصريّة، [د.ت.]، ص ٥٦-٥٧، ٥٩-٦٠.